# سلسلة دراسات حضارات العالم القديم

الجزء الثاني: دويلات المدن اليونانية والتطور السياسي والحضاري

## المبحث الأول: النموذج الأسبارطي — دولة الثكنة العسكرية

تعد أسبارطة (Sparta) الواقعة في إقليم لاكونيا جنوب شبه جزيرة البلقان أقدم وأقوى النماذج لدول المدن القارية ذات الطابع العسكري الصارم. نشأت أسبارطة إثر غزو الدوريين للمنطقة، وفرض نظام اجتماعي وسياسي صارم يستهدف الحفاظ على سيادة الأقلية الدورية على السكان الأصليين المستعبدين.

### 1. الطبقات الاجتماعية في أسبارطة:

انقسم المجتمع الأسبارطي إلى ثلاث طبقات صلبة ومحددة قانونياً، لم يكن يُسمح فيها بالحراك الاجتماعي، مما خلق حالة من الاستقرار القسري القائم على القوة:

| الطبقة الاجتماعية | الأصول والسكان | الحقوق والواجبات والمواصفات |
|---|---|---|
| **الأسبارطيون الأحرار (Spartiates)** | سلالة الدوريين الفاتحين. | احتراف العسكرية، امتلاك الأراضي الزراعية، والحقوق السياسية الكاملة. |
| **البريوكي (Perioeci)** | سكان المدن المجاورة والحلفاء الأحرار. | ممارسة التجارة والصناعة، حرية شخصية بدون حقوق سياسية، والخدمة بالجيش. |
| **الهيلوتيون (Helots)** | السكان الأصليون المغلوبون (الأخائيون). | أقنان الأرض التابعون للدولة، ليس لهم حقوق، وتعرضوا لبطش مستمر من أسبارطة. |

> **تشريعات لوكرجوس وتربية "الأجوجي" (Agoge)**
> وضع المشرع الأسبارطي **لوكرجوس** دستوراً عسكرياً صارماً. يُسلَّم الطفل عند سن السابعة للدولة ليلتحق بمعسكرات التدريب الجماعي (الـ Agoge) لتعلم أدوات القتال، تحمل القسوة والجوع، والامتثال المطلق. ينخرط المواطن في الخدمة العسكرية الفعالة حتى سن الثلاثين، ويبقى في الاحتياط حتى سن الستين، مما منع نمو الفنون والأدب لصالح القوة العسكرية.

### 2. الهيكل السياسي المعقد لدولة أسبارطة:

قام النظام السياسي الأسبارطي على مزيج فريد بين الملكية والأريستقراطية والديمقراطية الشكلية، وتوزعت السلطة فيه بين أربع مؤسسات رئيسية:

- **الملكان:** ينتميان لعائلتين ملكيتين (أجياد والأوريبونتيد)، ويمثلان القيادة العسكرية العليا والدينية، وتتحدد سلطتهما داخل المدينة.
- **مجلس الشيوخ (الغيروسيا - Gerousia):** يتكون من 28 عضواً ممن تجاوزوا الستين عاماً إضافة إلى الملكين، ويتولى إعداد التشريعات ومحاكمة القضايا الكبرى.
- **المجلس الشعبي (الأبيلا - Apella):** يضم كل المواطنين الأسبارطيين الأحرار فوق سن الثلاثين، ويقتصر دوره على التصويت بالموافقة أو الرفض بالصياح.
- **المشرفون الخمسة (الأيفور - Ephors):** هيئة تنفيذية وقضائية منتخبة سنوياً تتمتع بسلطات واسعة تتضمن مراقبة الملوك وتطبيق القوانين.

## المبحث الثاني: التطور السياسي في أثينا والمسار الديمقراطي

على عكس أسبارطة، قدمت أثينا الواقعة في إقليم أتقا أنموذجاً للتطور السياسي المرن الذي انتقل بالحكم من الملكية العائلية إلى الأريستقراطية، ثم نظام الطغاة الصالحين، وصولاً إلى أول نظام ديمقراطي مباشر في التاريخ الإنساني.

### 1. مراحل التطور السياسي والإصلاحات التشريعية:

مرت أثينا بأزمات اجتماعية واقتصادية حادة نتيجة احتكار الأريستقراطيين (المُلاك الكبار) للأراضي واستعباد الدائنين للفقراء بسبب الديون، مما استدعى إصلاحات متتالية:

- **قوانين داركون (621 ق.م):** أول تدوين رسمي للقوانين للحد من القضاء الفردي والثأر. تميزت بالقسوة الشديدة التي جعلت القتل والعقوبات المماثلة تطال معظم الجرائم.
- **إصلاحات صولون (594 ق.م):** أحد حكماء اليونان السبعة. ألغى جميع الديون السابقة وأفرج عن العبيد المستعبدين بسبب الديون، وحظر رهن الجسد مقابل المال. وقسم المجتمع إلى أربع طبقات حسب الدخل الزراعي، وأنشأ "مجلس الـ 400".
- **عصر الطغاة الصالحين (بيزيستراتوس 560 – 527 ق.م):** استولى على السلطة بدعم الطبقات الفقيرة، وقام بتوزيع أراضي الأريستقراطيين الثوار على الفلاحين وشجع الحركة العمرانية والفنية.
- **إصلاحات كليستينيس (507 ق.م - المؤسس الحقيقي للديمقراطية):** ألغى التقسيم القبلي القائم على النسب وقسم أتقا إلى 10 قبائل جغرافية تضم كل منها مناطق ساحلية وجبلية وسهلية. أنشأ مجلس الـ 500 (البولي) وأقر قانون النفي السياسي (Ostracism) لحماية النظام من الطغاة.

> 🏛️ **العصر الذهبي لأثينا في عهد بركليس (Pericles)**
> وصلت الديمقراطية الأثينية ذروتها في القرن الخامس قبل الميلاد بفضل القائد **بركليس (461 – 429 ق.م)**. فتح بركليس الوظائف العامة والجمعية الشعبية (الأكليزيا) لجميع المواطنين الأثينيين بغض النظر عن ثروتهم، وأقر مبالغ مالية (بدل حضور) للخدمة العامة لتمكين الفقراء من المشاركة، وبنى البارثينون وجعل أثينا مركز الفكر والثقافة.

### 2. حدود الديمقراطية الأثينية:

رغم إنجازاتها العظيمة، كانت الديمقراطية الأثينية ديمقراطية مباشرة ومباشرة ولكنها مقيدة؛ إذ اقتصرت الحقوق السياسية على الرجال الأثينيين الأحرار البالغين الذين أدى طقوس الخدمة العسكرية. واستُثنيت النساء نهائياً، إلى جانب الغرباء المقيمين (الميتيك) وآلاف العبيد الذين قام على أكتافهم الاقتصاد.

## المبحث الثالث: الصراعات الكبرى — الحروب الفارسية والحروب البيلوبونزية

شهد القرن الخامس قبل الميلاد صراعات عسكرية فاصلة حددت مسار التاريخ اليوناني؛ تمثلت الأولى في المواجهة الخارجية القاتلة ضد الإمبراطورية الفارسية، والحروب الداخلية الطاحنة بين الإخوة الأعداء (أثينا وأسبارطة).

### 1. الحروب الفارسية – اليونانية (490 – 479 ق.م):

اندلعت الحرب نتيجة ثورة المدن الأيونية في آسيا الصغرى ضد الحكم الفارسي ودعم أثينا لكورنثة وأيونيا. قاد الشاهنشاه الفارسي (دارا الأول ثم خشيارشا) حملات ضخمة لإخضاع اليونان.

| المعركة الحاسمة | السنة | الأطراف والقيادة | النتائج والأثر الاستراتيجي |
|---|---|---|---|
| **معركة ماراثون** | 490 ق.م | أثينا (ميلتيادس) ضد الفرس. | انتصار أثيني باهر أثبت إمكانية هزم الجيش الفارسي قاريًا. |
| **معركة ترموبيلاي** | 480 ق.م | أسبارطة (ليونيداس) ضد خشيارشا. | صمود أسطوري لـ 300 أسبارطي حتى الموت، مما أتاح الوقت لأثينا. |
| **معركة سلاميس البحرية** | 480 ق.م | الأسطول اليوناني (ثيميستوكليس) ضد الفرس. | تدمير الأسطول الفارسي في المضائق البحرية ونقطة تحول فاصلة. |
| **معركة بلاتيا وميكالي** | 479 ق.م | تحالف الإغريق ضد بقايا الفرس. | تصفية الوجود الفارسي بالكامل من اليونان وتحرير المدن الأيونية. |

### 2. حلف ديلوس واستحالة الإمبراطورية الأثينية:

عقب اندحار الفرس، شكلت أثينا عام 478 ق.م **"حلف ديلوس" (Delian League)** لمواصلة تحرير باقي الجزر اليونانية. تحول الحلف تدريجياً إلى إمبراطورية استبدادية أثينية، حيثُ نقلت الخزانة من جزيرة ديلوس إلى أثينا، واستُخدمت أموال الحلفاء لبناء معابد أثينا وتأمين هيمنتها البحرية.

### 3. حرب البيلوبونز (431 – 404 ق.م):

أدت الهيمنة الأثينية والمخاوف التجارية والعسكرية إلى اندلاع حرب البيلوبونز بين **الحلف البحري الأثيني** و**الحلف القاري الأسبارطي**. استمرت الحرب زهاء 27 عاماً، وتخللها طاعون أثينا الشهير وموت بركليس، وتجريدة صقلية الفاشلة. انتهت الحرب بمساندة مالية فارسية لأسبارطة وتدمير الأسطول الأثيني في معركة *ايجوسبوتامي (405 ق.م)*، وسقوط أثينا ودخول اليونان مرحلة التفكك والضعف السيادتي.

## المبحث الرابع: الإنجاز الفكري والفني والمسرحي في اليونان

رغم الحروب والصراعات السياسية، استطاع الفكر اليوناني تقديم إسهامات حضارية مؤسسة للعلوم والأدب والفلسفة، أصبحت حجر الزاوية للمدنية الثقافية في العالم القديم والحديث.

### 1. الفلسفة والبحث العقلاني:

انتقل الفلاسفة اليونانيون من التفسير الأسطوري للخلق (الميثولوجيا) إلى التفسير العقلاني والمادي. بدأت المدرسة الملطية مع **طاليس** وطبيعيي أيونيا، ثم بلغت الفلسفة قمتها الثلاثية في أثينا:

**سقراط (Socrates):**

رائد الفلسفة الأخلاقية والتحاور الشفهي (التهكم والولادة). رفع شعار "إعرف نفسك بنفسك" وجعل الإنسان محور البحث الفلسفي بدلاً من الطبيعة.

**أفلاطون (Plato):**

تلميذ سقراط ومؤسس الأكاديمية. صاحب نظرية "المُثل" وحوار *"الجمهورية"* الذي صمم فيه الدولة الفاضلة المجهزة بحكم الفلاسفة.

**أرسطو (Aristotle):**

تلميذ أفلاطون ومؤسس اللسيوم (المشائية). الملقب بـ "المعلم الأول"؛ وضع أسس علم المنطق الصوري والفيزياء والأخلاق والسياسة.

**السوفسطائيون (Sophists):**

معلمو الخطابة والمناظرة أصحاب الفلسفة الشكية والنفعية؛ برز منهم بروتاغوراس بقاطرته "الإنسان مقياس كل شيء".

### 2. المسرح والدراما اليونانية:

نشأ المسرح الأثيني من الأناشيد الاحتفالية والدينية بعبادة الإله "ديونيسوس" (إله الخمر والنماء). وتطور إلى دراما راقية انقسمت إلى جنسين رئيسيين:

- **المأساة (التراجيديا):** تناولت قضايا المصير والعدالة الإلهية والغرور الإنساني (Hubris). من أعلامها: **أسخيلوس** (مسرحية *الفرس*)، **سوفوكليس** (ملحمة *أوديب ملكاً*)، و**يوريبيديس**.
- **الملهاة (الكوميديا):** ناقشت قضايا الساعة السياسية والنقد الاجتماعي بتهكم وسخرية لاذعة. برع فيها الكاتب **أريستوفانيس** (مسرحيتا *الفرسان* و*الغمام*).